



مركز طارق والي العمارة والتراث

2019

## قراءة للهيكل التراثي للقاهرة العاصمة ضمن رؤية إستراتيجية

نص المحاضرة التي ألقاها د. طارق والي

بالتعاون مع حديقة الأزهر

يوم الأربعاء 8 أبريل 2009

نشر على

الموقع الرسمي لـ

**مركز طارق والي العمارة والتراث**

في 10 يوليو 2019

## قراءة للهيكـل التراثي للقاهرة العاصـمة ضمن رؤية إستراتيجية

### توطئة

إن ذاكرة المدينة جزء من شمولية تاريخ الأمة لا ينفصل عنها ولا سيما إذا كانت المدينة عاصمة الدولة وحاضرتها السياسية والاقتصادية، وبورتها المجتمعية. والقاهرة بطول الزمان ومحورية المكان هي عاصمة مصر مع تتابع المسميات والمواقع واختلاف الحضارات والدول والعصور، ولكنها دوماً تدور حول بعد مكاني ارتبط بالبيئة الجغرافية لمصر النيل، فالقاهرة العاصمة تتخطى المدينة بموضعها وموقعها.. توجز تاريخ وجغرافيا مصر والإنسان والمجتمع.

قامت القاهرة على مدى تاريخها بدور حضاري ثقافي في حوار مع عالمها المعاصر فهي عاصمة مصر حلقات متتالية في السلسلة الحضارية، ويتحدد المدخل إلى تطوير وتنمية القاهرة العاصمة اليوم في حتمية إيجاد خطاب ذاتي معاصر تتوجه به إلى المجتمع والعالم بحضارته الحديثة، وانطلاقاً من هذا الدور يتحتم أن تخرج العاصمة بخط حضاري شامل يتعدى المفهوم الضيق للتنمية إلى تحمل واعي للمسئولية التي غابت لأسباب في الماضي القريب.. لتلقي القاهرة بكلمتها في خضم تلك المتغيرات، كلمة تمتد جذورها في عمق التاريخ وتحلق غصونها في أفق المستقبل.

### الخطاب الحضاري للقاهرة العاصمة..

عاشت القاهرة دوماً حراك عمراني واجتماعي سياسي قد يغير من شكل وجودها أحياناً، وقد يدخل بها إلى حالة من الثبات العميق أحياناً أخرى يخرجها عن دورها أو يدخلها إلى نوم أهل الكهف.. لكنها لا تموت أنها إشكالية الخلود التي أرادها الخالق في المكان، فسرعان ما تكون العودة واسترجاع الدور والمكانة.. تنتقل العاصمة للجنوب إلى طيبة في مصر القديمة وتبقي منف أول عاصمة معروفة لمصر شاهدة وشامخة تتحدي النسيان والموت لتعود... تنتقل العاصمة إلى تانيس وأواري في الشمال مع الهكسوس في لحظة انكسار، ولكنها تعود... تنتقل العاصمة إلى الإسكندرية في العصر الروماني في لحظة تبعية، ولكنها تعود.. ويأتي الفتح العربي الإسلامي وتعود العاصمة إلى موقعها وموضعها في الفسطاط وتستمر في حراكها العمراني الداخلي إلى اليوم بازدهاره وانكساره.. هكذا كان نسق الحراك العمراني خارجياً وداخلياً أحد الأنساق المشكـلة لتراث المدينة وذاكرتها التي عاشت بها ومن خلالها.. جدلية مستمرة إلى اليوم فيما يتداول حول نقل العاصمة..

وعموماً توالت التجمعات العمرانية في تتابع حول محور جنوب شمال في توازي للنيل وبمحاذاة الجبل، وغالباً ما ارتبط الحراك الاجتماعي وما يترتب عنه من حراك ونمو عمراني بالسلطة السياسية والطبقة الأرستقراطية، وحدثاً كان القرن التاسع عشر نقطة تحول في عمران القاهرة، فأخذت الحركة التنموية محوراً متعامداً في اتجاه الغرب إلى النيل كان قد بدأ في العصر العثماني في القرنين السابع عشر والثامن عشر بشكل محدود ولكنه تسارع في عصر محمد علي ومن بعده، وعبرت تجمعات المدينة النيل في استمرارية عمرانية.. واستمرت القاهرة في حركتها عند نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين وإلى اليوم. ولتحديد معالم الخطاب الحضاري للقاهرة، مركزاً ثقافياً قومياً للعاصمة، لابد من استقراء الأنساق العمرانية التي عاشتها المدينة بسلبياتها وإيجابياتها، وفي مقدمة هذه الأنساق نسق الحراك الاجتماعي العمراني لاستيطان المدينة لرسم بها الخريطة التراثية للقاهرة.

### الخريطة التراثية لعمران القاهرة العاصمة..

وحتى نتمكن من رسم الخريطة التراثية والثقافية للمدينة حدوداً ومعالم ومؤسسات تخاطب القاهرة العاصمة من خلالها العالم وتؤدي منها وظيفتها يجب تحديد هذه الوظيفة وذلك الدور المنوط بها في إطار الرؤية الإستراتيجية... فوظيفة القاهرة العاصمة محليا وإقليمياً وعالمياً وظيفية ثقافية حضارية بالإضافة إلى الدور المحوري السياسي للسلطة والدولة.

ويعتمد الخطاب والوظيفة المنشودة للقاهرة على فهم مورفولوجية العاصمة وتطورها ومتغيرات نموها.. فهم يعتمد على محورين:



## البيئة الجغرافية ومعطيات المكان..

تعتمد البيئة الجغرافية الطبيعية للقاهرة العاصمة على عبقرية المكان فهي المحطة الأخيرة لوادي النهر الضيق في رحلته من الجنوب، عندها تبدأ الدلتا معلنة عن نهاية رحلة النيل الممتدة من أواسط أفريقيا ليكون المصب هنا في الشمال.. فهي نقطة تحول في سلوكيات وجغرافية النهر والوادي من جهة، وفي علاقة هذا الوادي بالهضاب والصحراء المحيطة من جهة ثانية..

هكذا تتشكل البيئة الجغرافية للموقع حول تلك العلاقة المتفرقة بين النيل وشاطئيه الشرقي والجبلي والغربي الصحراوي، علاقة متفرقة في رحلة النهر وبالتالي تعطي للموقع والموضع معا تميزا وتفردا يؤثر في مورفولوجية المدينة وعمرانها وطبيعة الاستيطان المجتمعي ودورها المركزي في تطور وحضارة هذا المجتمع، لتكون وتبقى النقطة المفصلية بين جنوب وشمال البلاد هي حاضرة الدولة وعاصمتها منذ فجر التاريخ والحضارات القديمة وحتى اليوم، قد تختلف الظروف والمعطيات ويبقى للموقع طاقته الكامنة دوما والمتفجرة أحيانا..

## الجزور التاريخية وذاكرة الزمان..

عرفت مصر الحضارة التنظيم السياسي وقيام الدولة منذ ما يزيد عن خمسة آلاف سنة من التاريخ المسجل سبقت به العالم القديم وقدمت النموذج للسلطة المركزية المنظمة والمهيمنة لإدارة شئون المجتمع وموارده، ومع هذا السبق كانت للدولة المركزية حاضرة وعاصمة تدير من خلالها البلاد وتتوحد حولها روافد المجتمع من الجنوب إلى الشمال.. فكانت منف أول عاصمة للدولة الموحدة في عصر الأسرات لمصر القديمة في العصور الفرعونية، واستمرت الدولة والعاصمة مع تتابع الحضارات والعصور إلى اليوم حلقات متتالية من منف وعين شمس وجبانة منف عند هضبة الأهرام وسفارة والممتدة شمالا إلى أبو رواس وجنوبا إلى دهشور في مصر الفرعونية.. إلى حصن بابليون الروماني حتى العصر الوسيط ودخول العرب المسلمين والتحول الحضاري للمنطقة ومصر في القرن السابع الميلادي.. ولقد عاشت القاهرة منذ القرن السابع في الفسطاط ديناميكية الحركة العمرانية، وتوالدت التجمعات العمرانية للقاهرة في تتابع حول محور الشمال - جنوب الموازي للنيل كمحور طبيعي في شرق النهر ومؤثر في توجيه النمو العمراني غالبا إلى الشمال فكانت القطائع والعسكر والقاهرة الفاطمية..

وكما حددنا سابقا ارتبطت الهجرة الاجتماعية وما يترتب عنها من تنمية ونمو عمراني بالسلطة السياسية والطبقة الأرستقراطية حتى مع انغلاق المدينة على نفسها نسبياً بداية من العصرين الأيوبي والمملوكي وحتى العصر العثماني ، استمر هذا النسق العام مع تغيير طبيعته من هجرة واستيطان وعمران خارج إطار المدينة إلى عمران لإحياء وتجمعات أرستقراطية اجتماعية داخل المجال العمراني للقاهرة وضواحيها وتكونت عندئذ أنماط من العمران أعطت للقاهرة صورتها الحضارية وتكاملت مع الوجه الآخر للعمران ، دون أن نغفل الدور الثقافي للطبقة الوسطى العامل والفعال في هذا الحراك العمراني .

واستمرت تلك الهجرات في حركتها ما بين تجمعات قائمة وتجمعات مستحدثة لاستيعاب هذا النمط الاجتماعي مع إحلال التجمعات الأولى بهجرة معاكسة تؤدي إلى تغيير التشكيل الاجتماعي والعمراني والانتقاعي أحيانا. وكان القرن التاسع عشر نقطة تحول في عمران القاهرة بدأت بمحمد علي باشا، حين تحولت محاور التنمية العمرانية وأخذت الحركة التنموية محورا متعامدا في اتجاه الغرب إلى النيل كان لهذا التحول جذوره في القرن الثامن عشر وما قبله، وهنا تغيرت توجهات ومحاور النمو مع الاحتفاظ بالمبدأ والنسق العام والأساسي فكانت الهجرات الجديدة للأرستقراطية العمرانية إلى الازبكية وعابدين والحلمية..

ثم استمرت في حركتها بعد ذلك عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى جاردن سيتي والزمالك، واستمرت مع تغيير أشكالها وتعدد محاورها إلى مصر الجديدة والمعادي، ثم إلى المهندسين والمنصورية ومدينة نصر ثم إلى القطامية... والسيناريو مستمر، وخلال تلك الفترات المتلاحقة والهجرات كانت الخلطة العمرانية - إن صح التعبير - وتغيرت الملامح العمرانية للقاهرة، وتحولت من مدينة متكاملة التراكيب الحضرية إلى فوضى وخواء.



ويتتبع تلك الحلقات التاريخية وجذورها التي تمثل ذاكرة الزمان من جهة، وقبل ذلك استقراء البيئة الجغرافية ومعطيات المكان من جهة أخرى يمكن وضع رؤية للهيكل التراثي للقاهرة العاصمة تتجه في جوهرها إلى إعادة قراءة مورفولوجية تشكيل العاصمة على امتداد الحقب التاريخية: من مصر القديمة الفرعونية إلى التاريخ الوسيط القبطي للإسلامي ... وحتى التاريخ المعاصر وظهور حركات التحديث بمحطاتها المختلفة. كما تمتد هذه الدراسات أية حدود إدارية لحظية للمدينة الحالية وصولاً إلى أبعاد المكان سواء في قلب القاهرة الحادث اليوم أو في روافدها القديمة شمالاً أو غرباً..

ونرسم هنا الخريطة التراثية للقاهرة العاصمة، وبها نحدد الخطاب الحضاري الذي يمكن للقاهرة أن تخاطب به العالم والإقليم والمجتمع خلال المدى الزمني القصير أو الطويل في إطار المخطط الإستراتيجي للعاصمة، ويبقى تحديد مستويات تلك الرؤية على النحو التالي:

- **المستوى الأول..** المدينة بشمولية تراكيبها العمرانية وتطورها التاريخي.
- **المستوى الثاني..** المناطق العمرانية ذات القيمة التاريخية والتراثية وليست فقط الأثرية، على سبيل المثال وليس الحصر: الازبكية، عابدين، الحلمية، الإسماعيلية، التوفيقية، الظاهر، الزيتون، جاردن سيتي، الزمالك، الروضة، مصر الجديدة، المعادي، .....
- **المستوى الثالث..** المحاور التاريخية والثقافية والطبيعية التي عاشتها المدينة قديماً وحديثاً، على سبيل المثال وليس الحصر: المحور الطبيعي لمجري النيل وما يضمه من جزر، محور الخليج المصري القديم وما يرتبط به في ذاكرة المدينة من برك (اندثرت)، محور قصبه القاهرة التاريخية (شارع المعز)، محور أسوار القاهرة الشرقية ومقابر صحراء المقطم، المحاور المستحدثة في القرنين التاسع عشر والعشرين مثل شارع محمد علي وشرابين التواصل بين شرق وغرب المدينة في وسط القاهرة، محور ترعة الإسماعيلية الحد الشمالي للمدينة ....
- **المستوى الرابع..** العمانر والمباني والمنشآت التاريخية والفراغات والنقاط العمرانية التي تحمل قيمة تاريخية ومعمارية أو اجتماعية ...

**وانطلاقاً من هذا الدور يمكن وضع عدد من المحاور والتوجهات والآليات التنفيذية على المدى المتوسط والبعيد لتحقيق الرؤية الاستراتيجية للقاهرة العاصمة:**

- رسم حدود للعاصمة في إطارها الثقافي لتكون محمية عمرانية تراثية تقع تحت حماية تشريعية وإدارية وتنظيمية خاصة تحقق للقاهرة العاصمة إمكانية أن تؤدي وظيفتها التي نحددها في هذه الإستراتيجية بالدور الثقافي للعاصمة

**وترتكز الرؤية الاستراتيجية هنا على قاعدتين:**

**الأولى** تتمثل في توحيد القيادة في إدارة كافة الخدمات والمرافق بالعاصمة لتكون تلك القيادة مسؤولة أمام الحكومة والرأي العام عن إدارة العاصمة.

**والثانية** تتمثل في إصلاح الخدمة المدنية والعامّة، باتجاه فرض احترام القانون، ويتطلب ذلك إفراد وضع قانوني خاص بالعاصمة، تمهيداً للسير في اتجاه توفير مقومات الحكم المحلي بالقاهرة العاصمة، وما يتضمنه من تعديلات تشريعية وإدارية ودعم سياسي فعال وقبول اجتماعي واسع..

ومن جهة أخرى تركز الرؤية الاستراتيجية للعاصمة على «تأمين الحد المعقول» من قدرة العاصمة على إدارة مواردها، وكذلك تدبير موارد ذاتية، وأن تكون في نفس الوقت تحت المحاسبة والمساءلة.

- ترسيم الحدود العمرانية للمستوي الثاني ونقصد به المناطق والأحياء التراثية والتاريخية المشكلة لشمولية العاصمة، مع تحديد الأولويات لتلك المناطق ووضع الضوابط والتوصيات المناسبة لكل منطقة بما يتناسب مع تراثها ودورها المحلي في المنظومة العامة للقاهرة..

ومنح تلك المناطق نوعاً من الذاتية الإدارية تسمح لها بتطبيق القوانين وتحقيق السياسات والخطط الموضوعة ضمن المنظومة الشاملة للعاصمة بعيداً عن المركزية المعوقة، ولكن أن تكون كذلك تحت المحاسبة والمساءلة وفي إطار الرؤية الاستراتيجية المعتمدة وما يصدر عنها من برامج وسياسات وخطط قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى.

• وضع المقترحات للمشروعات العمرانية لتحقيق الاستراتيجية سواء في إطار المحاور التاريخية أو نقاط التجاذب التراثية في المدينة. ونشير هنا على سبيل المثال وليس التحديد أو الحصر إلى ثلاث إمكانات مقترحة:

○ محور للتنمية الثقافية شرق العاصمة..

○ محور النيل والجزر باعتباره محمية طبيعية وتراثية..

○ تنمية منطقة الأزبكية كمركز ثقافي..

**1. محور للتنمية الثقافية شرق العاصمة..** وهو محور بامتداد أسوار القاهرة التاريخية يبدأ من الفسطاط جنوباً حتى شمال الجمالية ليكون حديقة تراثية مروراً بحديقة الأزهر والقلعة..

ويجب أن يتجه المخطط العام إلى الحلول العمرانية للمشاكل الأنية والمستقبلية للتجمعات القائمة أو المقترحة أو العشوائية، مع دراسة الإمكانية التفاعلية لها مع المراكز الحضارية الثقافية المقترحة في المنطقة والمحاور التنموية الأخرى من جهة، ودراسة الطاقات الكامنة في المنطقة من جهة أخرى..

ويمكن أن تحقق تلك بؤراً مستحدثة للفعاليات والأنشطة ترتبط بالدور الحضاري للمنطقة والعاصمة.

ويضم المشروع ضمن تلك الحدود المكانية منطقة الفسطاط بما تضم من عدد من البؤر التراثية والأثرية وهي النواة للفعاليات الحضارية الثقافية الحالية المتاحة أو المستقبلية.. هذا بالإضافة إلى تنمية الإمكانات التجارية الحرفية الاستثمارية والسياحية حول هذه البؤر، وهكذا يتشكل المشروع حول فكرة بناء وتنمية منطقة الفسطاط كمركز ثقافي حضاري يدفع بتسارع عجلة التنمية باستثمار إمكانات المنطقة كمشروع رائد لمحور شرق العاصمة..

**2. محور النيل والجزر باعتباره محمية طبيعية وتراثية..** يضم هذا المحور حالياً العديد من المؤسسات الثقافية العاملة ولكنها غير فاعلة بالكيفية المرجوة والمنشودة منها على سبيل المثال:

**متاحف..** كالمتحف المصري ومتحف الفن الحديث ومتحف الخزف الإسلامي بالجزيرة ومتحف مختار ومتحف محمد محمود خليل ومتحف المركبات الملكية ببولاق ومتحف أحمد شوقي ومتحف أم كلثوم ومتحف قصر المنيل والمتحف الجيولوجي .....

**مسارح..** في مقدمتها دار الأوبرا المصرية ومسرح الهناجر ومسرح الجيب ومسرح البالون و.....

**مراكز الفنون..** كمجمع الفنون بالزمالك والمكتبة الموسيقية بالجزيرة وقصر محمد علي والمانسترلي ومركز ساقية الصاوي والمعارض الفنية الخاصة و....

**المكتبات..** وأهمها دار الكتب القومية ومكتبة القاهرة ومكتبة مبارك و....

ويمكن أن تتكامل جميع تلك المؤسسات لتشكل المنظومة الثقافية الحديثة والمعاصرة والفاعلة بالعاصمة وأن تحمل مع ما يستجد مشعل التنوير الثقافي الحقيقي والفاعل لتتحقق القاهرة وظيفتها الحضارية والثقافية، فمحور النيل في القاهرة هو محور وعصب الحياة.. يحمل تاريخ وجغرافيا المكان ويوجز القيمة التنافسية للقاهرة العاصمة ووظيفتها الثقافية والحضارية..

**3. تنمية منطقة الأزبكية كمركز ثقافي..** هي منطقة مفصلية في تشكيل وذاكرة المدينة في مرحلة انتقالية من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر وهي تحمل من المقومات التراثية والثقافية ما يمكن توظيفه واسترجاعه.. من هذا المنطلق فإن الرؤية الاستراتيجية للقاهرة العاصمة، يجيء في مرحلة حاسمة تتطلب أن يتم إعدادها في إطار محدد وواضح وهو تأهيل القاهرة العاصمة السياسية لمصر لمواجهة المستقبل واستعادة توهجها الثقافي ومكانتها الإقليمية من خلال القدرة التنافسية المميزة والخاصة **بالقاهرة** ...

د. طارق والي

القاهرة

أبريل 2009